عظة قداس عيد الظهور الإلهي
في كنيسة دير دخول السيدة
في ٦ كانون الثاني ٢٠٠٢

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

يا أحبة، هذا الذي رأيناه في مغارة، اليوم نجده معلنا نفسه للناس، آتيا بالتواضع نفسه الذي رأيناه عند ولادته. هذا الذي ارتضى أن يولد في مغارة من والدين فقيرين. هذا الذي لم يجد منزلا يأويه. اليوم أيضاً، بالتواضع هذا الذي رأيناه نجده يأتي إلى عبد، هو أوجده، هو خلقه، يأتي إليه ليعتمد، ليغتسل كما يغتسل سائر الناس. هو الذي لا يحتاج إلى معمودية ولا يحتاج إلى غسل. هذا الذي لا خطيئة فيه، أراد أن يؤاسي ويؤاثر ويتعاطف مع المتألمين بسبب الخطيئة. أراد أن يكون مثلهم. تنازل وصار مثل أي إنسان خاطئ وأتى إلى يوحنا ليعتمد كما يعتمد سائر الناس. هذا الأمر، يملأ الكون كله فرحا، ويملأ كل إنسان تعزية كبيرة وهو أن هذا الإله الذي نعبد هو إله محب، متواضع، حنون، يرأف بالناس ويعطف عليهم. لم يميّز ذاته عن الآخرين بل ارتضى أن يأتي إلى يوحنا، هذا الذي يعمّد معمودية التوبة، كما يأتي إليه كل خاطئ. أتى يسوع إلى يوحنا فارتعد يوحنا ورأى الإله الذي أرسله ليعمّد آتيا إليه وقال له: أتأتي إليّ لتعتمد وأنا الذي بحاجة لأعتمد منك. فقال له يسوع: علينا أن نتمم كل برٍّ. ما معنى هذا القول؟

كان يسوع يقول ليوحنا ولجميع السامعين بأن البرّ هو الحالة التي تحصل عندما نعمد وصايا الله، أي عندما أنا أسمع الله أصبح في البرّ، في الصلاح. عندما أتكلم كلاما يرضى الله عنه، عندما أتصرّف كما يتصرّف الإنسان المحب لله، أنا أصبح في البرّ وكل من حولي يكتشف البر ويسعد به. كان يقول يسوع ليوحنا علينا أن نتمم كل برّ أي علينا أن نطيع الله. وكأن يسوع يقول ليوحنا: يا يوحنا، الله أرسلك وأنت في طاعة لله، وأنت نبي وأعظم من نبي ولذلك إذا كان الله أرسلك لتعمده وأنا ولدت كإنسان أيضا، فأنا كإنسان عليّ الذي أتيت لأعلم الناس، أنا أطيع الله كسائر الناس. يسوع يعلّم من خلال هذه المعمودية، يعلمنا بأن الإنسان الذي يعبد الله هو مطيع لله. يقال هذا عبد لسيده والمقصود بكل حرفيّة بأن هذا الإنسان يطيع هذا السيد بكل ما يقول.

إذا كنت أنا عبد لله وأنا أريد أن أكون، فأنا مستعد أن أسمع له في كل حين وأن أطيعه وأن أحبه وأن أفرح بطاعته. لهذا السبب يسوع قال ليوحنا، أنا تجسدت، أنا اتحدت بالإنسان، أنا صرت إنسانا، فأنا عبد لأبي، أنا أردت أن أكون كسائر الناس عبيد، عبدا أطيعه وأسمع له

وأفعل مشيئته لا مشيئتي. يسوع هو الإنسان الكامل الذي تجسدت فيه إرادة الله. أي هو الإنسان الوحيد الذي لم يعصي الله مرة. فيسوع حتى في المعمودية كإنسان قال ليوحنا: أنا لا أريد أن أعصي الله. إذا أرسلك الله فأنا مطيع له، فتمم أنت عملك وأنا أتمم برّي. لماذا ارتعد يوحنا؟

ارتعد يوحنا لأنه رأى الله أمامه، رأى الإله المتجسد. وبالفعل هكذا كان، لأن الثالوث المقدس ظهر مؤكّدا قول يوحنا وارتعاده. الصوت الإلهي أتى من السماء، سُمع من السماء، صوت الآب، الابن في المياه والروح القدس مثل حمامة نازلا عليه. فنرى هنا ظهور الثالوث، الآب بصوته والابن في المياه بجسده بجسد الإنسان، والروح القدس بشكل حمامة نازلا عليه. الله الثالوث أكّد حالة يوحنا، يوحنا النقي، الصوت الصارخ عرف مُرسله وقال عليك أنت أن تعمدني ويوحنا قال سيأتي بعدي من هو قبلي، من لست أنا مستحق أن أحلّ سيور حذائه، سيعمدكم بالروح القدس والنار.

انشقت السماء وأراد يسوع بهذا الأمر، أراد الله بهذا الأمر أن يقول بمجيء المسيح، أصبحت السماء مفتوحة والدعوة أُرسلت لكل الناس، من تقبلها أهلاً وسهلاً به ومن لم يتقبلها هو حرّ. السماء انفتحت وأصبحت مهيئة لكل إنسان، طالبة البشر للدخول إليها. بقول آخر يا أحبة، أي عندما أتى يسوع إلينا أتى ليعلمنا ماذا تعني كلمة رب أو سيد. عندما نبدأ بالصلوات نقول هو ربنا أي هو سيدنا، يسوع أتى ليعلمنا بأن سيدك الذي يأمرك وأمرهلا صالح وبار هو المسيح. أي الذي في أمره لا يوجد ظلم، أمره يؤدي إلى الخير، إلى السلام، إلى الصلاح. فتحت السماء لكي يصبح الله سيد لكل إنسان.

من بعد أن نزل يسوع وصار فيما بيننا علّمنا كيف نطيع الله ويصبح سيدنا ونصبح عبيده. صوت الآب قال له: أنت ابني الحبيب وفي إنجيل آخر: هذا هو ابني الحبيب. ألم يكن يسوع منذ البدء ابنه الحبيب؟ ولكن أراد أن يقول بأن من يحيا، من يعيش مثل ابني هذا الذي يعتمد، أي أيُّ إنسان يعيش، يتمثّل بيسوع صار ابن لله. أي بيسوع يتبنانا الله. كل إنسان يتشبّه بيسوع، يريد أن يتصرّف، يحكي مثل يسوع ويصير عنده فكر مثله، يصبح فورا ابن الله. من سمع ليسوع يسمع لي. ولهذا السبب يقول يسوع أيضا اثبتوا فيّ حتى تثبتوا بالآب وتصيرون واحد. الروح القدس حلّ عليه والروح القدس هو واحد مع الآب والبن منذ الأزل.

ظهر الروح القدس ونزل على يسوع، ليس فقط ليؤكد ليوحنا وللجميع بأن هذا الذي يعتمد هو ابن الله أو هو الله المتجسد. أراد أن يقول بأن المسيحي الحقيقي يحلّ عليه القدس أي يحرّكه الروح القدس، أي الروح القدس هو الذي يوجّه المؤمن، هو الذي يضوي في قلب المؤمن. كان يقول لنا الإنجيلي أو الإنجيليون بأن الروح القدس حلّ عليه وهو حال في كل حين، ليقول بأن الإنسان الذي يتمثّل ويتشبّه بيسوع ينسكب عليه الروح القدس. لهذا السبب

معموديتنا ليست فقط بالمياه، معمودية بالميرون. بعد أن نعمّد ألا تروا بأننا نأتي بالميرون ونمسحه ونقول ختم الروح القدس. ختم يعني طابع، أي حلّ الروح القدس فيه، الإنسان الذي تعمّد عليه أن يسمع للروح القدس ويمشي بكلامه وهديه. الصورة الجميلة التي نراها هي الإله العظيم، تنازل، تجسّد، صار مثلنا، تعمّد مثلنا ولكن ليقول أنا أتيت. إذا قال إنسان بأنه لا يساوي شيئا، يسوع يقول له، أنا نازل أينما كنت، بجحيمك سأنزل. يسوع نزل على نفوسنا الحزينة جداً، أي أراد يسوع أن يغطس في أية حالة كنا. إذا كنا أبكي، معظم الناس تبكي في قلبها، لأن من ليس عنده الله لا يكون سعيداً.

هل تعلمون لماذا الناس لا تعترف ويعطون الأعذار؟ لأنهم معتّرين. لأنه لو كان عكس هذا، لا يستحي بل يواجه. يستحي لأن الخطايا التي تحزنه لا يريد أن يخبّر عنها، لأن الكاهن والناس يروه غير شكل. لهذا السبب كل التبرير بأننا لا نريد الاعتراف عند الكاهن، هذا لأننا وسخين وغير صالحين، لا نريد اكتشاف قلوبنا عند الخوري. نحن نكشفها لله، وهل نؤمن به؟ أو نخاف منه. كلنا ننشل إذا عرفناه. نزل يسوع إلى هذا المستوى ليحمل الإنسان الذي يرتجف ويقول له: أنا أريد أن أكون معك وأحملك وأساعدك وأعيدك قويّاً فيّ.

أصبح يسوع بالنسبة لنا هو النور في ظلمتنا، الضياء في حالتنا التعيسة. ولهذا السبب ظهور يسوع هو ظهور النور إلى العالم. من كان عنده يسوع هو مستنير ويعيش بالنور ومنوّر. فيا أحبة، اليوم نعيّد عيد ظهور الرب والثالوث. فلنرجع لنفوسنا ونقول بصدق يا رب نحن نكذب عليك في أكثر الأوقات، اجعلنا نتوب ونقول يا رب، نحن نقول اسمك، ولكن ليس لدينا طشم للمجيء إلى الكنيسة، نصلي ونتكلم معك. ولكننا نعرف بأنه لو تكلمنا طوال النهار والليل يكون عندك عرس في السماء. هكذا قال لنا أنه برجوع خاطئ واحد يكون هناك عرس في السماء فكيف إذا كان الكل، فيكون العرس دائم.

فنصلي مع بعضنا وننتبه مع بعضنا، والآن في تقديس المياه أترجاكم أن تكونوا ساكتين وتسمعوا لأني أكون أصلي لكم، وستأخذون جميعكم من المياه، وشاركونا بالصلاة ويبقي رأسه مركّز معنا، حتى يأتي الرب ويقول لك: أنا أحب أن أبقى معك وتجاوب مثل يوحنا: أنا مستحق يا رب؟

الله يكون معكم في كل حين، وأتمنى أن تديروا وجهكم عندما يكلمكم. انظروا إليه. فليباركككم وأبناءكم ويجعلكم أبناء وبنات لله مباركين في كل حين. آمين.